الجمهورية اللبنانية
مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية
مركز مشاريع ودراسات القطاع العام
مؤسسة فريدريش ايبرت
مكتب بيروت

الحلقة الدراسية المنعقدة في غاردن اوتيل في برمانا
بين ٧ و ١٦ كانون الثاني ١٩٧٢

موضوعها :

التربية المدنية في دور المعلمين والمعلمات — واقعها ومرتجاها

التقرير النهائي والتوصيات

وزارة التصميم العام
مركز التوثيق
الرقم 619
تاريخ الدخول

١٩٧٢

اولا ـ التقرير النهائـــي

يتناول التقرير النهائي الذى جاء خلاصة المحاضرات والمناقشات وابحاث اللجان وتوصياتها ، الطالب منذ تقديم ترشيحه للدخول الى دور المعلمين حتى انخراطه في سلك التعليم وممارسته الرسالة التربوية وذلك في ضوء وظيفة دور المعلمين والمعلمات التي هي تهيئة المعلم الكفوء المؤمن بالتعليم كرسالة والعامل باخلاص لاعداد المواطن الصالـــح .

ويبحث التقرير في النقاط التاليـــة :

١ ـ الشروط الواجب توافرها للدخول الى دور المعلمين وكيفية التحقق من توافرها : وهي تتلخص في ضرورة تكامل شخصية المرشح من النواحي الجسدية والعقلية والعلمية ، بحيث يكون المرشح خاليا من كل عيب او عاهة ، وقادرا على التفكير بشكل منطقي وسليم وعلى مستوى معين من التحصيل في مختلف مواد التدريس الاكاديميـة لا سيما اللغات .

ويمكن التحقق من توافر هذه الشروط عن طريق اختبار اهلية جسدى يشترك فيه اطباء يعزز بالتصوير الشعاعي بالاضافة الى اختبار علمي يشترك فيـه اساتذة ومربون ومفتشون ، وامتحان خطي يساعد على ذلك ملف كامل يحتوى على المعلومات الضروريـــة عن المرشح في المرحلة المتوسطة .

٢ ـ طريقة الاعداد واثرها في تمكين الطلاب من القيام بواجباتهم المستقبلية فتتلخص هذه الطريقة بتوفير الامور التاليـــة :

آ ـ العنصر البشرى : يجب ان يتحلى افراد الهيئة التعليمية في دور المعلمين والمعلمات بضمير مهني وباخلاق مسلكية تساعدهم على ان يكونوا قدوة حسنة لطلابهم ومثالا يحتذى .

ب ـ المناهج : يجب ان تبتعد المناهج عن تلقين المعلومات النظرية بحيث يتمكن الطلاب من المشاركة في بحث مشكلات اجتماعية وحياتية تهمهـــم وتهم الوسط الاجتماعي التربـــوى .

ج ـ المباني والمرافق الحيوية : يجب ان يتوفر لكل دار مبنى لائق يتضمـــن المرافق الصحية والتربوية والثقافية الضرورية .

٣ ـ كيف يمكن حمل الطالب على الاندماج في اجواء دار المعلمين والمعلمات ان حالة النفور القائمة بين اكثرية طلاب دور المعلمين والاوضاع القائمة فيها مردها الـى الامـــور التاليـــة .

شعور الطلاب بان النظام مفروض عليهم من فوق وفقدان النشاطات الحرة والعنصر المشوق في المنهج المقرر وانعدام المرافق الحيوية ، عدم كفاية المنحة لحـد ادنى من المعيشة اللائقـــة .

والقضاء على حالة النفور هذه وخلق الاجواء الجاذبة والمشوقة للطلاب يتـم بتحقيق ما يلـــي :

. . . /. . .

آ ــ اقرار مبداء المشاركة بحيث يتوصل الطلاب الى الاقتناع بان النظام الموضوع والذى شاركوا فيه هو لمصلحتهم ٠

ب ــ تعديل المنهج ولا سيما في المواد الاجتماعية بحيث يتضمن موضوعات تستوحي من الحياة العامة ومن المشاكل الراهنة التي يشارك الطلاب في تدارسها واقتراح الحلول المناسبة لها

ح ــ تحويل دور المعلمين الحالية من دور خارجية الى دور داخلية ٠

٤ ــ مادة التربية المدنية في دور المعلمين : المنهج والمعلم ٠

ان المنهج الحالي للتربية المدنية يقتصر على معلومات مدنية لا ترتبط بالواقع الاجتماعي والاحداث الجارية في العالم واهتمامات الطلاب ، كما انها لا ترتبط بمواد التدريس عامة وبقية المواد الاجتماعية خاصة ٠

كما ان معلم التربية المدنية ليس مطلعا بشكل كاف على بقية مواد التدريس التي تتصل بصورة مباشرة بهذه المادة كعلم النفس التربوى وطرق التدريس عامـــــة

٥ ــ الطريقة الفضلى لتدريس التربية المدنية في دور المعلمين ٠

ان الطريقة الفضلى لتدريس التربية المدنية في دور المعلمين تقتضي :

آ ــ التعليم بالقدوة والمثال بحيث يكون المعلم في علاقته وطريقة تعامله وتدريسه صورة حية لما يرتجى من التربية المدنية هذا فضلا عن تحليه بالروح العلمية والتجرد والموضوعية

ب ــ اعتماد الطريقتين المستقلة والمندمجة بشكل متكامل لتدريس التربية المدنية مع تغليب الناحية العملية على الناحية النظرية ٠ والبعد عن الالقاء والتلقين واعتماد طريقة البحث واستقاء المعلومات من الواقع الاجتماعي الذى يعيش فيه الطالب والافادة من الاحداث الجارية محليا وعالميا في موضوعات التربية المدنيـــة ٠

٦ ــ واجبات المعلم المسلكية

يجب ان تتوافر في المعلم صفات شخصية تؤهله للقيام بدور المربي وتوجه علاقته بتلامذته وباوليائهم نحو الغاية المرجوه وذلك بالتركيز على الامور التالية :

آ ــ صفات المعلم الشخصية : يجب ان يتحلى بضمير مسلكي حي ووجداني يقظ بحيث يعتبر التلامذة امانة بين يديه وان يكون قدوة لهم ومثـلا أعلى محتذي بمظهره واناقته وقيافته وينمي ثقافته الخاصة والعامة ٠

ب ــ علاقته بالتلامذة : يجب ان يسهر المعلم على تربيتهم جسديا وعقليا وروحيا واجتماعيا ويكون موضوعيا في حياده السياسي والديني ٠

ح ــ علاقته بالاهلين : يجب ان تكون شبه خاصة في مدارس القرى لان التلاميذ يظنون ان المعلم قادرا على حل كل مشكلة تتصل بهم ٠

. . . / . . .

٧ ــ الاجواء الواجب تأمينها للمعلم ليتمكن من القيام برسالته التربوية:
تتلخص هذه الاجواء بضرورة توفير ظروف عمل مبنية وشخصية منها البناء المدرسي الصالح من الناحيتين الصحية والفنية وتأمين الكتاب المدرسي الملائم والتجهيزات التربوية اللازمة ، بالاضافة الى اعادة تأهيل المعلمين ليتمكنوا من الاطلاع على ما يستجد في ميدان عملهم ، وتحسين اوضاعهم المعيشية وتأمين الضرورات الحياتية والاساسية لهم .

ثانيا ــ التوصيـــــات

توصي اللجنة بما يلـــي :

١ ــ ايجاد جهاز مختص بالارشاد التربوي والتوجيه يتناول التلامذه في المرحلة المتوسطة ويزود دور المعلمين بالملفات الكاملة للمرشحين ويمكن الافادة من كلية التربية في الجامعة اللبنانية لاعداد عناصر الجهاز المذكور .

٢ ــ عدم تعيين اي استاذ في ملاك دور المعلمين الا بعد التثبت من نجاحـــه فنيا ومسلكيـا .

٣ ــ تعديل المناهج بحيث لا تقتصر على التلقين بل تتعداه الى الناحية العملية

٤ ــ ايجاد المباني اللائقة للدور المحتاجة تتوافر فيها المرافق الصحية والتربوية والثقافيـة الضروريـــة .

٥ ــ اقرار مبدأ مشاركة الطلاب في وضع النظام المدرسي وتطبيقـه

٦ ــ تحويل دور المعلمين الحالية الى دور داخلية

٧ ــ جعل صف التربية المدنية مختبرا للسلوك الاجتماعي باشراف معلم التربية المدنيـــــــة .

٨ ــ ادخال موضوعات القوى الضاغطة والتحركات العالمية واهتمامات الطلاب في منهج التربية المدنية في دور المعلمين بالاضافة الى المؤسسات اللبنانية الدستورية والنظام الاداري على ان يترك للمعلم مجالات مناقشة ما قد يستجد من احداث طارئة ومعالجة هذه الموضوعات بطريقة علمية مجردة قائمة على روح الاحترام والمحبة .

٩ ــ اعادة تأهيل المعلمين بتدريبهم من الناحيتين الفنيه والعلمية

١٠ ــ تعزيز التعليم ورفع مكانة المعلم ماديا ومعنويا بانتهاج سياسة تربويـة شاملة تتناول بصورة خاصة المبنى المدرسي والتجهيزات المدرسية والكتاب المدرسي .

وفي الختام لا يسع اللجنة الا ان تنوه بالخطوة الاخيرة التي اقدمـت عليها وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، باحداث فرع للاجتماعيات والتربية المدنيـــة في منهـج دار المعلمين المتوسطة ، وتأمل اللجنة في المباشرة بهذا الفرع في اقـرب فرصة ممكنـــه .

مؤسسة فريدريش ايبرت
مكتب بيروت

بيروت ، في ٨ كانون الثاني ١٩٧٢

التربية المدنية للانسان والمواطن

محاضرة الدكتور خليل الجسر

لقد عبرت البشرية اخطر مرحلة من مراحل تاريخها المظلم ، وربما تكون افجعها ان بامتداد الكارثة على ابعد بقع العالم ام بعنف النزاع الذى حطم جميع ما كنا ننعم به من وهم حول متانة العمل الذى كان الانسان يفاخر به وبدوامه ، الا وهو الحضارة. وقد وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها منذ اكثر من ربع قرن وما زالت البشرية تتخبط حتى اليوم في مشكلات جسيمة تجعلها تصير على فوهة بركان يهدد في كل آن بالانفجار .

قبل الحرب بسنوات ـ اى بعد الحرب العالمية الاولى ـ عم البلدان الغربية قلق شامل . ولم تكن تلك ظاهرة جديدة ، بل كانت يقظة الوجدان الانساني الذى كان التقدم الصناعي في العصرين المنصرمين قد خدره نوعا ما .

وكان نمو الجبهة المادية من الحضارة ، ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر ، قد اثار اهتمام البشر فراحوا ينتظرون ، بشيء من القلق ، ما يتمخض عنه الغد من معجزة فلم يترك لهم الوقت الكافي للاهتمام بالمشكلات الحقيقية ، اعني بها المشكلات الانسانية . وقد تعاقبت الاكتشافات الرائعة المدهشة بدون انقطاع ، فبهرت عقول الناس كما يبهر اول مشهد من مشاهد السيرك عقول الاطفال . وقد اصبح هذا المشهد الجسيم رمزا للواقع ، وصرف النظر عن القيم الحقيقية ، وقد طمسها نور الكوكب الجديد . ومما سهل ذلك وجسمه ، ان الفلاسفة والعلماء كانوا قد اعدوا ادمغة الصفوة من المفكرين لقبوله بوضعهم عددا من علامات الاستفهام وتركها بدون جواب .

لقد شعر الكثيرون بالخطر المحدق وانذروا به . غير ان احدا لم يصغ اليهم ويعيرهم انتباهه لان معبودا جديدا غريبا كان قد ولد ولان عبادة جديدة قد طغت على عقول الناس وضمائرهم هي عبادة المستحدث . ولم يكن بين ايدى الواعين الا براهين قديمة ، في زمن كان العلم يتطور فيه كل يوم ويستبدل بلباسه القديم البالي لباسا جديدا زاهي الالوان . وبينما كان ابناء البشر يفتحون اعينهم مدهوشين ماخوذين في انخطاف ، سرعان ما تحول الى ايمان حقيقي بقوة العلم والاكتشافات ، ظل الحكماء يحاربون باستدلات وفسر تفسيرا انها اصبحت بالية ، وبعبارات تفتقر الى فتنة الشباب ، ونداءات الى يقظة الوجدان لا يرغب احد في سماعها ، وتبدو لكثيرين عادمة النفع متاخرة عن اوانها .

وقام رجال الدين ورجال التربية بجهد جبار لاعداد جيل قادر على ان يجعل للقيم الروحية والخلقية محلها في هذا العالم الجديد ، لكنهم لم يجددوا تعليمهم ولم يغيروا شيئا يذكر في اساليبهم فلم تكن النتيجة كافية لتوقف وهن العزيمة الشامل وتقضي على الفتور والقلق المستولي على الجمهور . ولم يكن غير ذلك ممكنا لان التربية الحديثة كانت قد سلكت طرقا ومهدت سبلا جديدة في اذهان الناس، فتعودوا استعمال التفكير العقلي دون ان يزيد ذلك في ذكائهم شيئا او يبدل في عقليتهم . لقد وضعت بين ايديهم آلة مغرية والصوبة جديدة ظنوا انهم يجيدون استعمالها وكانت هذه الالة قد مكنت من الحصول على نتائج هامة حولت حياتهم المادية شيئا فشيئا وفتحت امامهم افاقا رحبة

. . . /. . .

من الامال العذاب • فكان من الطبيعي ان يتحول تدريجيا الاحترام الذى كان يستأثر به الكهنة والمربون دون سواهم الى اولئك الذين افلحوا في تسخير قوى الطبيعة وكشف بعض اسرارها •

وكان من جراء ذلك ان نشبت الحرب العالمية الثانية • فكانت اشد هولا واكثر فتكا من الاولى وبينت للناس ان البهيمة الكامنة في اعماقهم لم تمت وانها تنتظر الفرصة المناسبة لتستيقظ وتثور ، وعادت بالبشرية الى اهوالها الوحشية • افاق الوحش فحطم سلاسله وقضى على حضارة كانت تعتقد نفسها خالدة • اية صفحات رائعة كان بامكان هذا المشهد ان يوحي بها لباسكال • لكن ما احرزته العبقرية البشرية من عهد باسكال حتى يومنا هذا لم يود الا لجعل عوداتنا الدورية الى البربرية اكثر فتكا واعم دمارا • افنعجب بعد ذلك ان نلاحظ المرارة التي تصبغ كل سطر من سطور مقدمة **رينه غروسيه** لكتابه " رصيد التاريخ " ؟

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية لم تنعم البشرية بالطمأنينة والراحة اللتين نصبو اليهما • فالمآسي ما تزال تتعاقب والاضطرابات الدامية تتوالى هنا وهناك والحرب الباردة التي تهدد الاعصاب هذا ما يزال وطيسها حاميا • والنظم السياسية والاجتماعية تتداعى اركانها ، فكاننا تجاه عالم يحتضر ولن يلبث ان يلفظ اخر انفاسه •

السبب الاساسي في كل ذلك سوء التربية • والعلاج الوحيد هو في التربية ، في تربية الافراد وتربية الجماعات • وهذه التربية عملية مستمرة تبدأ في البيت وفي المدرسة الابتدائية وتتتابع في مرحلة التعليم الثانوى ولا تنتهي مع الدراسة الجامعية بل تستمر طول الحياة • ان نظام التعليم الحاضر يفتقر الى كثير من المقومات التي تمكنه من ان يودى رسالته على احسن وجه وان يعد للمستقبل جيلا صالحا نافعا يعي تبعاته كاملة • ولا يمكن تحسين هذه النظم وتطبيقها تطبيقا لائقا الا بتحسين الافراد ، ولا يمكن تركيز هذا التحسين الا على نظام خلقي نبيل رفيع لا يقبله الناس بحرية فحسب بل يفهمونه ايضا لذلك يمكن اعتبار التربية والتعليم اداتين من ادوات مرحلة التطور الحاضرة التي تمر بها البشريـــة •

ولقد تأثرت تربية الاولاد دوما ، وهي اساسية في النمو الخلقي لشعب ما ، بالاضطرابات السياسية والاجتماعية • ومن الممكن ان تكون التربية في بعض حقبات التاريخ الماضية ارفع مما هي عليه اليوم ، ومن الواضح انها كانت اقل شمولا • الا ان القضية ليست قضية كمية بقدر ما هي قضية كيفية • فالتربية الفاسدة المرتكزة على مبادىء فاسدة تأتي ، اذا ما اتسع انتشارها ، بنتائج مريعة • وسبب هذه الحالة عدم التفرقة بين التربية والتعليم •• فتربية الولد تقوم على تهذيب سجاياه الخلقية وتعويده السلوك الخلقي القويم ، والتصرف الاجتماعي الصحيح ، وتنمية الكرامة الانسانية فيه منذ نعومة اظفاره ، وبث الروح المدنية في وجدانه • اما تعليمه فهو تغذيته بالمدنية التي جمعها الانسان في مختلف الحقول • والتربية تصوب اعماله وتوحي اليه بسلوكه في علاقاته مع الناس وتساعده على تملك زمام نزواته ، اما التعليم فيوفر له عناصر نشاطه الفكرى ويعرفه بحالة التمدن الحديث • تعطيه التربية اسس الحياة واحترام القوانين والنظم المعمول بها ويمكنه العلم من التكيف حسب تبدلات محيطه ، ومن ربط هذه التبدلات بالحوادث الماضية والمستقبلة •

فعندما نبحث في التربية المدنية ، نجد تطبيقا لهذا التمييز ونعتبر ان تعليم الاولاد مبادىء هذه التربية والقواعد التي ترتكز عليها لا يمكن ان يجعل منهم كائنات مدنيين يحترمون النظام ويتقيدون به ويقدسون القانون لمجرد كونه قانونا •

. . . /. . .

ان حياة الانسان المدنية تقوم على مجموعة من العلاقات المتبادلة ، وهذه العلاقات عديدة ومختلفة . فمنها العلاقات العيلية ، والعلاقات المدرسية ، والعلاقات المهنية ، وجميع هذه العلاقات تندمج في فئة من علاقات اكثر شمولا منها جميعها هي العلاقات الاجتماعية . ان المجتمع واقع . وهو قيمة . ومن العبث ان نحاول تربيـــة الولد من اجل نفسه كما لو كان باستطاعته ان ينعتق من الضرورات الاجتماعية التي تحيط به من كل صوب . ولا يمكننا ان نخص الطرف عما انجزه المجتمع الانساني بكليته ، والمجتمعات القومية خاصة في مختلف المجالات المادية والفكرية والفنية والخلقية . ومن المحال ان نظل خارجا عن هذا التيار الحياتي الجبار الذى نسميه التاريخ . ومن العبث ان نحـاول ذلك ، فالانسان مرغم على العيش في فئة معينة ولا يستطيع ان يحقق ذاته ويصبح انسانا ، بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، الا في المجتمع . لكن الناحية الاجتماعية ليست كـل الانسان وقيمة المجتمع لا تعلو على قيمة الانسان ، ولئن كان اعمق ما يصبو اليه الانسان لا يتحقق الا عن طريق الحياة الجماعية وبواسطتها . فليس الكائن بكليته ما يجعله منه اندماجه في مجتمع . ففي كل كائن بشرى حقيقة ذاتية . والمجتمع بطبيعته موحد ، وهو يفرض الالتزام والتقيد بالعرف والتقاليد ويميل الى الترويض . ان القيمة الحقيقية تكمن في الفرد ولا يمكن انتزاعها منه .

لذلك نعتبر ان اعداد الولد للمجتمع وتربيته تربية اجتماعية ومدنية يحتمل اكثر من معنى . نحن ننتمي الى امة . لكننا ننتمي ايضا الى مجموعات عدة داخل هذه الامة ، كما اننا ننتمي الى حضارة والى البشرية جمعاء .

وقبل ان نحدد غاية التربية بوجه عام والتربية المدنية بوجه خاص ، علينا ان نحاول تحديد الغاية التي يسعى اليها الانسان ، وقد حدد ديدرو هذه الغاية بقوله : "ان غاية الانسان ان يكون انسانا حقيقيا كاملا" .

لكن مفهوم الانسان مفهوم مجرد ، وهذا هو خطأ الفلاسفة الذين صنعوا هذا المفهوم ، فمفهوم الانسان المجرد مفهوم خطر لانه يفقدنا الاتصال بالاشياء التي نعيش بينها ونتفاعل معها ونتكيف وفاقا لمقتضاها او نكيفها كلما استطعنا الى ذلك سبيلا وفاقا لحاجتنا كما يفقدنا الصلة بحقيقة الانسان الخائض في بيئة معينة والذى لا وجود له الا بالنسبة الى هذه البيئة ، منها استمد اكثر مقومات كيانه وفيها يتجلى نشاطه . فالى جانب حقوق الانسان نطالب بحقوق المجتمع . ونريد ان تفهم التربية كل انسان ان عليه واجبات نحو مجتمعه ، هذا المجتمع الذى نعتبره جسما حيا له بنياته الحياتية وتقاليده التي منها يحيا والتي تشكل في الواقع حقيقتـــه .

لقد وضع اوغست كونت المجتمع في الدرجة الاولى ، ولم يعتبر الانسان الا خلية تحتل محلها الطبيعي في هذا الجسم ، ولا وجود لها الا بوجوده ولا قيمة لها الا بالنسبة الى الوظيفة التي تقوم بها فيه . وقد تبعه في ذلك علماء الاجتماع الذين ينتمون الى مدرستـــه .

نحن لا نقر اوغست كونت على هذا الراى بل نعتبر ان للكائن الانساني قيمة لا تقل عن قيمة المجتمع ، بل نومن بان القيمة الانسانية اسمى جميع القيم ، لكننا لا ننظر الى الانسان المجرد في ذاته ، بل غايتنا في التربية ان ندمجه في فئة اجتماعية ونعده للقيام بوظيفة . ان التربية في اكثر البلدان اليوم تسعى الى ان تجعل من الفرد عاملا ومواطنا ، وبما ان اكثر الدول المعاصرة ديموقراطية او تدعى الديموقراطية ، فهي تعتبر ان كل فرد معد لان يهتم للقضايا العامة ولاختيار ممثليه ولان يكون مواطنا قادرا على استقاء المعلومات الصحيحة يعي وعيا تاما القضايا الاجتماعية والسياسية ويبدى رايه فيها ويشارك في الحكم . وهذا كله يفرض تربية مدنية وخلقية صحيحة وتكوين وجدان مستقيم .

. . . /. . .

يقول بعضهم ان الانسان مدني بالطبع ويكفي ان نتركه يسير وفاقا لطبيعته ولا نفسده عن طريق التربية . وبهذا المعنى قال تولستوى . وهو من كبار المربين : "يلد الانسان كاملا . هذه هي الكلمة الخالدة التي قالها روسو والتي ما تزال صحيحة صامدة صمود الصخر. ان مثلنا الاعلى هو وراءنا لا امامنا . ان التربية تفسد الانسان بدلا من ان تصلحه . فمن الخطأ اذن ان نعلم الولد ونربيه لانه اقرب منا الى المثل العليا من حق وخير وجمال التي ادعي بفخر واعتزاز ومعرفة بانني ارفعه الى مستواها " .

اننا لا ننكر ما للتربية والبيئة التي يعيش فيها الولد من تأثير عميق على تكوين شخصيته ونموها . ونلاحظ ، منذ الولادة ، وخاصة في السنوات الاولى ، ان تأثير البيئة والاوساط المختلفة المفروضة على الولد ، في البيت وفي المدرسة ، تلعب دورا هاما في تحديد الخطوط الكبرى التي ستتكون الشخصية وفاقا لاتجاهاتها .

ولكن هذا لا يعني ان جميع هذه التأثيرات سيئة تحكر صفاء الطبيعة الاصلية ، او النظرة التي يولد عليها كل مولود كما يقول الغزالي .

فلئن كان في تركيب كل كائن بشرى عناصر فطرية او وراثية ، كما يقول علم النفس الحديث ، يحددها تاليف الكروموسومات في البيضة منذ تكوينها ، فثمة مجال واسع لاضافة عناصر اخرى ، عن طريق التربية ، وليست جميع هذه العناصر مفسدة كما يعتقد تولستوى . واذا كان سلوك الراشد موجها ، اى اذا كان يطمح الى بلوغ بعض الاهداف ، فان تلك الاهداف ليست فيه وليدة الفطرة بل تتكون وتتحدد على مدى الاختبارات التي يحياها الولد ، ولا سيما في السنوات الاولى من حياته .

ان الرضيع في البدء ليس له هدف وحياته مجرد حياة نباتية صرف . انه مسرح لنشاطات وتفاعلات فيزيائية وكيميائية تحدث استجابات تتجلى في تشنجات عضلية تؤمن عمل بعض الاعضاء التلقائي . فالتنظيم العصبي للحياة النباتية يكفي لتأمين بلوغ بعض الحاجات كتنشق الهواء مثلا والرضاع . بيد ان ثمة حاجات اخرى كثيرة لا يمكن ان تسد تلقائيا فيعبر عنها بمتافات وحركات غير ذات فعالية في حد ذاتها لكن الذين يعنون به فيسرعون الى تلبيتها .

ثم يبلغ الطفل درجة تصبح فيه التربية ممكنة ، والتربية في هذه السن تقويم وتهذيب وتدريب . ان في الولد بذور خير كما فيه بذور شر ومن اهداف التربية ان تقوى بذور الخير وتساعد على تنميتها والا فقدت كل معناها . ولكننا لا نقر المربين على فرض تربية معينة او آراء في الحياة معينة . فالحضارات والمجتمعات تتطور ونحن نخطىء الذين يريدون ان يكيفوا الولد وفاقا لمجتمع عصرهم لان التطور في عصرنا خاصة يسير بخطى سريعة وعلينا ان نفهم ان الولد الذى نربيه اليوم سوف يعيش في مجتمع غير المجتمع الذى نعيش فيه نحن ، يختلف عنه في بنيته الاقتصادية والاجتماعية وفي نظامه السياسي وفي المفاهيم الحياتية التي تسوده . فلماذا اذن بدلا من ان نعده للمجتمع الحالي لا نهيئه لمجتمع امثل ، لان ثمة قيما تتبدل وتتغير بتبدل الازمنة والظروف وانماط الحياة وقيما مطلقة تنبع من طبيعة الانسان ولا تتبدل الا بتبدل هذه الطبيعة ، منها احترام القانون والايمان بالكرامة الانسانية . قال بيمنتيه Pimiente نحن نقر لكل جيل بالحق في تعديل المجتمع كما يرتأيه وبان يحقق النموذج الانساني الذى يراه ارفع من سواه . بل نعتبر ان ذلك واجب من واجباته . لذلك نطلب من التربية ان تعده لهذا العمل . لكننا لا نقر للمربي ولا للذين يمثلهم بان يفرضوا على الولد مثالا انسانيا او اجتماعيا معينا .

الحق

هذا يعني اننا من الناحية الاجتماعية يجب ان نضع انفسنا في مستوى النظام الكلي وان نولي العدالة اهتمامنا الاول . والروح هو الذى يحدد الاهداف

. . . / . . .

القصوى وينظم المجتمع تنظيما يؤمن تعايش الافراد . ولئن كان هدفنا الاخير هو اعداد الولد للاندماج في مجتمعه اولا ، ثم في البشرية ، فلا ننسى اننا نعد افرادا واشخاصا خلقيين . ان اعداد الانسان هو المقصود بالدرجة الاولى لذلك اصبح اسمى هدف للتربية هو ان تنمي في الانسان القيم الانسانية وان تقوى فيه الروح المدنية .

يقولون ان الانسان مدني بالطبع ، وباعتقادي ان هذا التعريف لا ينطبق على الواقع . فللمدنية مفهوم يتنافى مع ما نلمسه من افراد الناس الذين نعيش بينهم . واذا اخذنا اللبنانيين المعاصرين جملة وافرادا ، نراهم ابعد ما يكون عن الروح المدنية الحقة التي حددها مونتسكيو بقوله انها محبة القوانين والوطن . وهذه المحبة تفرض على المواطن ، في كل مناسبة ، ان يضع المصلحة العامة فوق المصالح الخاصة ، وهي ينبوع جميع الفضائل المدنية الاخرى ، لكنها لا توجد الا في الديموقراطيات الصحيحة حيث تقع تبعات الحكم على عاتق كل مواطن ويشعر كل مواطن بانه مسؤول مباشرة عن سير الدولة وتطبيق النظام والسهر على احترام قدسية القانون .

ويخطىء من يظن ان محبة القوانين والوطن قائمة على المظاهر الخارجية ، من مهرجانات وخطب حماسية واستعراضات جيوش ، او انها هي الوطنية بالذات . فالوطنية عاطفة تحمل الانسان على الشعور بالعلاقات التي تربطه بجماعات من الناس لم يصبح فردا منهم الا بحكم الواقع ومصادفة الولادة ولم يندمج فيهم مختارا بل لان الظروف قضت بان يكون من هذه الجماعة لا من تلك . فانا لبناني لانني ولدت في لبنان ، من ابوين لبنانيين ، لم اختر تاريخ ولادتي ولم تكن لي باع في انتقاء مكانها . فمعنى كلمة الوطن ينحصر في اشتراك الانسان اشتراكا فعليا بمجموعة من التقاليد والمشاريع المشتركة والاعمال والاماني والمثل والرموز الاجتماعية التي تكون بيئته الثقافية الخاصة . لكن العاطفة الوطنية ، ككل عاطفة قد تتحول الى نزوة هائجة اي الى ما ينافي مفهوم الفضيلة ، ويخالف كل المخالفة ما سميناه بالروح المدنية .

الروح المدنية هي الشعور الواعي بحقوق المواطن وواجباته . انها فضيلة من فضائل الحياة اليومية ، فضيلة متواضعة تحمل الانسان في كل ظرف من ظروف حياته على ان يعتبر نفسه مسؤولا عن المجتمع القومي وان يكيف سلوكه وفاقا لهذا الاعتبار .

الروح المدنية تحمل الانسان على قبول حدود تقف عندها المصالح الخاصة والحرية الفردية فلا تتعدى حقوق الامة باعتبارها مجموعة من المصالح والحريات ، وتحثه على الاشتراك الفعلي في الحياة العامة ومراقبة السلطات في تأدية وظيفتها والاهتمام بكل ما له علاقة بسلامة الامة وكرامتها . فالفرد الذي يفخر بابتعاده عن السياسة ليس مواطنا بل تابعا او مرؤوسا .

ومن الصعب جدا ان تظهر الروح المدنية ما لم تتوافر الشروط الضرورية لبروزها الى حيز الوجود .

ومن اول هذه الشروط ان تكون ثمة حكومة وشرائع تسير هذه الحكومة بمقتضاها لكن مجرد وجود الحكومة بجهازها الاداري الكامل لا يعني ان القانون مطبق والشرائع محترمة والنظام سائد وجميع الامور تجري على احسن وجه . فالحكومة التي نقصدها هنا هي التي تؤمن تطبيق القوانين كما تفرض ذلك العدالة وتأبى ان يكون الحكم فيها اعتباطيا خاضعا لاهواء الحكام مسخرا لمصالحهم ومصالح انصارهم واقربائهم . اعني بذلك ان يكون لهذه الدولة دستور يوافق طبيعة البلاد التي سن من اجلها وينبثق من روح الشعب الذي يخضع له وان يطبق هذا الدستور بحيث يحول بطريقة فعالة دون ارادة السيطرة المتمكنة من بعض الفئات او الافراد ودون تعدي رجال الحكم صلاحياتهم الدستورية .

. . . / . . .

. . . / . . .

من المسلم به ان الحرية من حقوق الامة كما هي من حقوق الفرد ، وان الامة تحمل في ذاتها مبدأ سيادتها فلها وحدها يعود الحق في سن دستورها . لكن الامة لا تستطيع ان تحكم ذاتها فتنتدب من تعتبر فيهم الكفاءة والضمانات الخلقية والعلمية الكافية وتكل اليهم امر تسيير دفة الحكم وتطبيق القانون . فتصبح الدولة والحالة هذه هي الامة من حيث لها تنظيم سياسي ينجم عنه التفريق بين الحكام والمحكومين ويعطي فئة الحكام حق اصدار الاوامر ويفرض على فئة المحكومين واجب اطاعتها .

لكن الافراد الذين يكونون فئة المحكومين ينظرون في اكثر الاحيان الى الفئة الثانية نظرة ريبة وحذر وعداء ، وذلك طبيعي لما في كل الانسان من ميل الى الحرية والاستقلال اذا كان محكوما والى التطرف والاستبداد اذا كان حاكما . لذلك اصبح من الضروري ان تكون للدولة انظمة قانونية وان تكون هذه الانظمة موافقة لطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين الافراد والفئات . فاذا فقدت هذه الانظمة او سيء تطبيقها ، اصبحت العدالة اسما بدون مسمى او مسرحا يمثل عليه العنف والاستبداد منزلة العدالـــــة .

وشر ما يحدث آنئذ هو ان تصبح الدولة مدرسة تعلم الاستهتار بالقوانين ، وتعطي مثـل المكر والغش في طرق تطبيقها ، وتبدر الاموال العامة في غير سبيل المنفعة المشتركة وتمنح الامتيازات من لا يستحقها وتحجبها عن مستحقيها ، وتخلق المكائد على اهل الشغب ، وابطال الاخلال بالنظام والعبث بحرمة القانون وقدسيته .

اذا ما نظرنا الى ذواتنا بعين الاخلاص والتجرد نرى ظاهرات خطرة اصبحت واضحة بحيث لا يمكن جهلها او التغاضي عنها . اذا وجدنا في حلقة تضم ممثلين عن مختلف الطبقات الاجتماعية في بلادنا ، نراهم يجمعون على ان الحكم عندنا فاسد والاساليب المتبعة في تطبيق القوانين عقيمة خاطئة . وقد اصبح لدى جمهور اللبنانيين اعتقاد راسخ بان الحكومة لا تقوم بالتزاماتها ولا تحترم كل ذي حق حقه .

ولكن اذا نظرنا الى الفرد اللبناني نرى حكمة هذا القول : "كما تكونون يولى عليكم" فالفرد اللبناني بعيد كل البعد عن الروح المدنية الحقة . واذا ما نظرنا الى تصرفاته نراها على طرفي نقيض من هذه الروح (النظافة ــ احترام قوانين السير ــ احترام الاشجار ــ احترام حقوق الاخرين) .

وهناك ظاهرة اخرى لا اخيرة اشد خطرا مما ذكرنا واشد هولا في نظر الضمائر الحية وهي تدني القيم الخلقية بحيث اصبح الاجرام بطولة اذا كان من يقوم به ثريا ، واصبح الغش والخداع دهاء ومقدرة اذا كان بطلهما من ذوي النفوذ او ينتمي الى غير فئة الصعاليك والمساكين . واصبحت القوة في اكثر الاحيان تقوم مقام الحق ، والاغتصاب سواء في اموال الامة ومتلكاتها ام في اموال الافراد ومتلكاتهم يحل محل الكسب المشروع .

هذا قليل من كثير اكتفي به هنا بالوقت لا حرصا على بلاد لسنا غرباء عنها نجهل ما يجري فيها من امور وما يحصل من مآسي .

اين هذه الامور من الروح المدنية الحقة التي لا تتجلى الا حيث يوجد المواطن الواعي . ونقصد بالمواطن الواعي شخصا حرا اي شخصا لا يخضع لارادة غيره خوفا من عقاب او طمعا بثواب بل يخضع للقانون لانه مقتنع من ضرورة وجوده ولانه يريد ما يفرضه هذا القانون . فالمواطن الواعي لا يطيع دون ان يحاول ان يفهم . اما اذا بدت له الدولة واقعا غامضا وحقيقة مجهولة بعيدة عن متناول فهمه وظهرت له الحياة العامة الصورة كلها مواربة ومخاتلة ودسائس يفعل فيها المسؤولون عكس ما يقولون ،

. . . / . . .

فان الانسان الحر يثور او ييأس او يلجأ الى برج عاجي من اللامبالاة وتصبح الدولة ميدانا لا مجال فيه للمواطنين الاحرار ، لان الانسان الحر لا يتصرف تصرف المواطن الا اذا امن له القانون جزأ من التبعة في تسيير الحياة القومية وكان يشعر بانه يسهم اسهاما فعالا في اتخاذ المقررات التي يتعلق عليها مصير الامة .

ان الروح المدنية تجعل المواطن يشعر ان مصيره الشخصي متعلق بمصير الامة باسرها . لذلك يصبح لوجود الامة في نظره معنى وقيمة ، وتفرض عليه ضرورة وجودها وبقائها الرضوخ الحر الواعي للقانون وقبول جميع التضحيات عندما تكون ضرورية لسلامة الوطن وحياة الامة . وكيف يرضى الانسان بعد لتلبية رغباته والتضحية بمصالحه الخاصة على مذبح المصلحة العامة ما لم يكن مومنا بان للامة التي هو جزء منها رسالة تاريخية وما لم يحلق على بقاء وطنه ومستقبله اهمية كبرى ؟

ولا يمكننا ان نتصور الفضائل الاجتماعية والروح المدنية دون وجود تراث مشترك من الذكريات وارادة عنيدة للحفاظ على هذا التراث ، ودون هذا التعلق بالقيم المشتركة التي تحدث عنها رينان عندما حاول ان يحدد معنى الامة .

فالروح المدنية تجعل المواطنين يفهمون ان ما يجمعهم في وطن واحد اثمن واقوى مما يفرق بينهم . لكن المواطنين لا يفهمون ذلك الا عن طريقة التربية . فالانسان لا يولد مواطنا بل يصبح مواطنا باندماجه في المجتمع المدني اندماجا تدريجيا تحت تأثير العائلة والمدرسة والجماعات المنظمة التي ينتمي اليها .

ففي العائلة تتكون العواطف والعادات والاراء التي تنتقل فيما بعد الى الصعيد القومي . وفي العائلة يتعود الولد — اولا يتعود — الاخاء والنظام والشعور بالتبعة . وتأتي المدرسة فتتمم هذه التربية البيتية ، لا بتلقين المعلومات المدنية النظرية بل بتجربة العلاقات الاجتماعية التي يحياها التلميذ في البيئة المدرسية . فالتعاون بين الرفقاء في المدرسة تتمة للاخاء العائلي وهي اكثر تنوعا واتساعا منه على شرط ان تكون المدرسة جمهورية صغيرة تؤمن الشروط الضرورية لتنمية الصفات المدنية وترسيخ العادات الاجتماعية وان يفهم القيمون عليها ان السلطة لا ترتكز على الاكراه والعنف بل على اثارة روح المبادرة والتبعة .

اما ما ينبغي ان تكون تربية المواطن والنقاط الاساسية التي تدور حولها فاننا لا نجدها في ما بين ايدينا من الكتب المؤلفة في الاخلاق والمعلومات المدنية فعلينا ان نعدل عن المفهوم الضيق للمعلومات المدنية ونتساءل :

اولا — ما هي المعارف التاريخية والجغرافية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والقانونية التي يحتاجها المواطن المعاصر ليتمكن من تفهم المشكلات التي تعترضه في حياته اليومية .

ثانيا — ما هي الصفات الفكرية والاسلوبية الضرورية للاطلاع الواعي وتلقي المعلومات الصحيحة التي تجعل المواطن في مأمن من الدعاوات الرخيصة المغرضة فلا ينقاد اليها انقيادا اعمى .

وثالثا — ما هي الفضائل التي تتطلبها الحياة الديموقراطية واهمها روح التعاون والانضباط والشعور بالتبعة وهي الشروط التي تفرضها الحياة المشتركة في كل مجتمع ديموقراطي .

.../...

فالمدرسة عندنا لا تؤمن هذه التربية . ومما يؤسف له ان ارباب الفكر عندنا وفي العالم لا يعيرون هذه الناحية المهمة من نواحي التربية الحديثة ما تستحقه من العناية عند محاولاتهم تحديد الثقافة ومحتوياتها والتربية وشروطها .

اذا فتحنا جريدة ما نجد فيها مقالات تبحث في مواضيع تتعلق بالدستور والانتخابات والاحزاب السياسية والاصلاح كما نجد غيرها تبحث في القضايا السياسية والاقتصادية وموقف الشعوب المستعمرة من المستعمرات وقضايا العالم العربي ، وقضايا النفط ، والمعسكر الشيوعي والمعسكر الغربي وحلف الاطلسي وغيره من الاحلاف. فكم من القراء الراشدين يفهمون حقيقة هذه القضايا او يعلمون تاريخ هذه البلدان واوضاعها السياسية والعسكرية والاقتصادية

ولو كان القصد تزويد قراء الصحف بالمعلومات الضرورية لفهم مقال لبيان الامر . انما القضية تتعدى هذا الفهم وتتعلق بتثقيف العقل وتأمين الصفات الفكرية والاسلوبية والقدرة على النقد الصحيح وقوة التميز والمقارنة والحكم ، لان على المواطن الصالح ان يكون قادرا على الوقوف في وجه الدعاوات المختلفة التي تغزو حياته كلها في البيت والشارع ومقر العمل ودور التسلية عن طريق الاذاعة والصحف والاعلان والتلفزة . فالثقافة التي ينقصها هذا القدر من الاعداد الفكري والخلقي تعد عبودية للحرف لا تدانيها عبودية الجهل .

ان تربية المواطن كما تؤمنها مدارسنا هي تربية صورية لانها بعيدة عن الواقع موضوعها العلوم والاداب والتاريخ والجغرافيا ، وكلها امور مادية او غريبة عن نزعاتنا ومصالحنا الحيوية — اما هذه القضايا التي ذكرنا فهي من صميم الحياة الانسانية اليومية التي تتنازعها الشهوات وتعصف بها الاهواء . لذلك نرى من الضروري لاعداد المواطن الصالح للحياة الوطنية ان يعاد النظر في مناهج التعليم بحيث تدخل فيها المواد التي تتعلق بحياته الحاضرة وبجميع المشكلات التي تتعلق مباشرة بهذه الحياة .

بقي اخيرا ان نغرس في نفس المواطن عند اعداده الصفات الاساسية التي تحتاجها الديموقراطية الحقة اعني بها روح المبادرة والحرية والتبعة والنظام والتعاضد والعمل المشترك ، اى العمل عن غيرنا ومن اجل غيرنا .

ان مجتمعنا مجتمع شرقي له عاداته وتقاليده وتراثه الحضاري العريق وله حضارته المميزة وفيه مواطن للضعف ومواضع للقوة .

فمن مواطن الضعف فيه انه لم يسم بعد الى مفهوم الشخص الانساني ولا يحكم الانسان فيه على غيره الا بالنظر الى السلالة التي تحدر منها والمقام الذى يحتله في المجتمع دون النظر اليه كائن له قيمته الذاتية وسيماؤه المميزة وكل موحد لا يمكن استبداله من سواه . الشخص الانساني يسمو فوق المجتمع ويتعداه وينعم بثروة ذاتية تمكنه من التأثير على بيئته . وكل ذلك ناجم عن ان الشخص الانساني كائن حر بتلك الحرية التي ليست بالاباحية او بالفوضى بل بالحرية الصحيحة الحق التي تتيح له خلق ذاته وبالتالي خلق شيء خارج عن ذاته واعني بذلك الرقي المادى والخلقي والجمالي والاكتشاف العلمي او الرائعة الفنية او الحب . وهذا الخلق هو الذى يمنع الشخص من ان يموت بكليته ويترك بعده شيئا لم يكن موجودا قبله في العالم ، شيئا ينمي الثروة البشرية ويزيدها زيادة تكون ما نسميه التقدم او الرقي .

فاذا اراد مجتمعنا ان يعود فيرقى المنحدر الذى انزلق فيه وان يؤمن له ولنا يفخر ان ينتمي اليه ودولة تعمل لخدمته وخدمة هذا الوطن عليه قبل كل شيء ان يجعل للمفهوم الشخصي قيمته في اذهان افراده . عليه ان يعتبر القيمة

. . . /. . .

الانسانية اسمى جميع القيم ويفهم ان التقدم لا يكون بالزى الخارجي والمظاهر الخلابة المستعارة بل بالتربية الداخلية المنبثقة عن اعتقاد واقتناع والبنيان الذاتي المبني على الوعي والمعرفـــة .

عليه ان يجعل من مدارسه وجامعاته معاهد تربية خلقية انسانية قبـل ان يجعل منها دور علم تحشـو الادمغة معلومات دون ان توقظ الضمائر وتهذب القلوب .

وان يترك التعصب الذميم جانبا ويجعل من التساهل الحليم ومن الاحترام الخير السمح دستورا لحياته ونورا يضيء مجالات سلوكه .

عليه ان يتمسك بالقيم الرفيعة التي احترمها اباؤنا واجدادنا وان يسير على الاساليب العلمية الحديثة التي تتمشى عليها البلدان الراقية ويفيد من اختباراتها في شتى مجال النشاط الانساني بعد ان يطبقها على واقعـه .

عندما يفهم اللبناني كل هذا ويحياه في كل ظرف من ظروف حياته حينئذ يتمكن من خلق شيء جديد يتحف به العالم ويكون الاساس الكافي لبناء الدولة والوطن على شرط ان يعلم ان الخلق يتعذر على من يأبى التحرر الداخلي من السلاسل التي تقيده .

* * * * * * * *

الجمهورية اللبنانية
مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية
مركز مشاريع ودراسات القطاع العام